ولعل الصورة المتميزة لهذا الفن، والتى تظل بمثابة نمط خاص شديد البروز والتألق بين بقية الأنماط الأدبية السائدة ما نجده مطروحا فى فن « النقيضة الأموية » بكل صورها ومقوماتها ووظائفها إلى جانب فحولها الكبار وأسواقها الأدبية المتميزة وجمهورها الغفير ، وموقف العصر منها ، حتى على المستوى الرسمى للخلافة ، ثم موقف الرواة من روايتها ، وكذا موقف شعراء العصور التالية من تلك الروايات ؛ الأمر الذى يجعلها على درجة خاصة من الأهمية والخطر فى دراسة ذلك النوع الشعرى ، خاصة حين يبدو وليد فترة ما يعكس واقعها ، ويتحول مع نهايتها ، ويضم إلى شرائح تاريخها السياسى والأدبى أبعادا وملامح جديدة .

وما يقال من حدود هذه الأنماط الشعرية يمكن أن ينسحب على الغزل الذى نجده يدور فى ظلال بيئات متخصصة ، لاتكاد تتجاوزه أو تتحول عنه ، وعندئذ يتجاوز حدود المقدمات التى قد تستهل بها قصائد فى موضوعات أخرى ، أو مجرد الحديث عنه كتعبير عن تجربة شعرية فى مقطوعة أو قصيدة ، إلى أن يصبح سمة حياة حضارية من طراز خاص ، فإذا به يتحول إلى إطار تخصُّصى تحكمه بيئة معينة ، أو يتخصص فيه الشاعر على نحو ما نلتمسه فى دراسة مدارس الغزل العربى منذ الجاهلية ، سواء ما وجدناه من غزل حسى عند امرئ القيس وطرفة وأمثالهما ، أو ما جاء ضمن غزل الحكماء على طريقة زهير ، أو غزل المتيمين على منهاج عنترة ، وهو ما يظهر له امتداد طيب فى إطار متيُّمى عصر صدر الإسلام ، كما طرحه شعر عروة بن حزام الذى عرف بنسبته إلى محبوبته عفراء ، لتتحول المدارس بعد ذلك إلى صور متباينة ومفارقة تحكيها قصة الغزل الأموية فى بيئة المدن الحجازية المتحضرة على طراز المدرسة العمرية التى تتلمذ على منهجها العرجى والأحوص أيضا ، فى مقابل مَنْ ظل متيما فى بيئة العذريين ضمن فريق الشعراء الذين ارتبطت أسماؤهم بأسماء محبوباتهم ، على نحو ماكان من جميل بثينة ، وكثيرٌ عزة ، وقيس بن الملوح وليلاه ، وقيس بن ذريح ولبناه ،ونظراؤهم ، ثم كان ذلك النمط المتميز الذى مزج بين حس الحضارة والبداوة ومثَّله ذو الرمة شاعر الحب والصحراء ، ثم ذلك الامتداد الضئيل لبقايا هذه المدرسة العذرية لدى العباس بن الأحنف فى العصر العباسى وذيوع التيار الحضارى بعد أن لوثته حياة الجوارى فى العصر حتى أصبحت سمة غالبة على شعر الغزل فيه كما مثَّله مسلم بن الوليد وبشار وأبو نواس ، ومن سار على شاكلتهم وهم كثيرون .